

## الرؤية الفكرية والفلسفية للعلامة الطباطبائي



عندما يكون المنهج الوسطي طريقاً للإستنارة

# الرؤية الفكرية والفلسفية للعلامة الطباطبائي

الدكتور  
أحمد محمد قيس

أستاذ جامعي لبناني متخصص في تدريس مادتي  
علم الكلام والفلسفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الاهراء

إلى روح والدي في دار الرحمة.  
وإلى والدتي الغالية والعزيزة جداً على قلبي.  
وإلى من تحمّل وصبر على انشغالي عنهنّ من أفراد الأسرة.  
وإلى أولادي الأحباء وائل وآية وحسين.  
وإلى إخوتي وأخواتي وأولادهم الأعزاء.  
وإلى طلاب العلم والمعرفة.  
أهدي هذا العمل



## شكر خاص

جرت العادة أن يسطر الباحث شكره لكل من ساهم وساعد ومدّد يد العون له أثناء إعداداته للبحث في ختام المقدّمة.

بيد أنّ خصوصيّة ومكانة هؤلاء الأساتذة الكرام تقتضي منا شكرهم بشكل مستقلّ وخاصّ عملاً بالحديث المشهور: «من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق».

لذا، أتوجه بخالص شكري للأستاذ المرحوم المؤرخ السيد حسن الأمين الذي حثّني على الإستمرار بالدراسة الأكاديمية.

كذلك للأستاذ الدكتور المرحوم أحمد الوائلي الذي طلب وأكّد على ضرورة التحصيل العلمي الأكاديمي.

وأيضاً لأستاذي وأخي الكبير الدكتور يوسف عمرو، الذي كان ولا يزال يتفضّل عليّ بالتوجيه والنصح والإرشاد.

وللأستاذ الدكتور هادي فضل الله الذي لولا إرشاداته القيّمة ومتابعته الحثيثة لي لما قُيِّض لي إتمام وإنجاز هذا العمل.

فالشكر كلّ الشكر لهؤلاء الأساتذة الأفاضل، تغمّد الله الراحلين منهم بواسع رحمته، وحفظ الباقيين بواسع فضله ورحمته وعنايته إنه سميع مجيب.

^

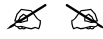


## مقدمة

شكّلت الفلسفة الإسلامية بمذاهبها المختلفة لبنة جديدة ومهمة جداً في صرح الفلسفة وحركة التفلسف والنظر عبر التاريخ، كما أنها أسهمت في تحفيز الفكر الإنساني، وأضافت إليه جديداً من خلال العطاءات والجهود المتميزة التي قام بها الفلاسفة المسلمون منذ ما قبل القرن التاسع للميلاد وصولاً إلى بدايات القرن الحالي. وتركزت أهمية هذه الجهود التي أتى بها هؤلاء الفلاسفة، أنهم نظموا ما اقتبسوه من الفلسفة اليونانية نظاماً منسقاً فيه الكثير من التجديد والابتكار، في نفس الوقت الذي قام به بعضهم بنقد الفلسفة اليونانية متجاوزاً الحد الذي وقفت عنده، وهذا الأمر إن دلّ على شيء فإنه يدل على سعة اطلاع وعلم هؤلاء الفلاسفة الذين استطاعوا أن يكشفوا في الفلسفة اليونانية عن نواقص لم تخطر ببال أفلاطون، ولا ببال أرسطو، ذلك لأنّ عقول هؤلاء الفلاسفة قد تأثرت بعقول اليونان في منطقهم وطبيعياتهم، وسائر علومهم، إلا أن قلوبهم قد ارتوت من معين الدين الإسلامي وتأثرت باتجاهاته.

لذا جاءت أفكارهم وآراؤهم عبارة عن مزيج من الفكر الهلّيني والفكر الإسلامي بشكل يخدم العلم والمعرفة، ناهيك عمّا أضافه الفلاسفة المسلمون إلى الفلسفة اليونانية من إبداعات وابتكارات خلقها الاجتهاد الفكري من جهة، والانفتاح على آفاق معرفيّة فلسفيّة وروحيّة جديدة من جهة ثانية.

ولقد أثبت التتبع أن القول بانتهاء الفلسفة الإسلامية عند ابن رشد فيه كثير من الإجحاف، لأنّ الكثير من الجهود الفلسفية الفكرية التي عرفتها حواضر أخرى خارج حدود الحواضر الفلسفية المعروفة آنذاك؛ كشفت عن انتقالٍ كان لا يزال مجهولاً عند الباحثين<sup>(١)</sup>. وخير مثال على ذلك: النتاجات الفلسفية للطوسي والرازي، أو نتاج الفلاسفة الإشرقيين وامتداداتهم في التصوف والعرفان وصولاً إلى ملا صدرا. وتقع إسهامات السيد محمد حسين الطباطبائي المعروف (بالعلامة) في سياق هذه الجهود التي استلهمت من تراث الفلسفة الإسلامية، وحاولت أن تبني جدلاً مع التطورات الفلسفية في الغرب.



### أهمية الموضوع:

تنطلق أهمية هذا الكتاب من جهة أنه يسلط الضوء على شخصية تشكل رافداً من روافد الفكر الفلسفي الإسلامي المعاصر، الممتد من ملا صدرا وإبداعاته الفكرية والفلسفية، وصولاً إلى فضاء معرفة جديدة زاخرة بالعلم والحداثة.

كما أنها تظهر النواحي التي تميّزت بها هذه الشخصية، إن لجهة الإشتغال بالفلسفة وقضاياها ومسائلها التي شغلت دائرة اهتمام الفلاسفة والمشتغلين بها، أو لجهة تركيزه على الجانب المعرفي الذي يشكل ركناً هاماً في البناء الفكري الفلسفي.

(١) للمراجعة: انظر كتاب تاريخ الفلسفة في الإسلام، لمؤلفه دي بور، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، تقديم مصطفى ليبب، إصدار المركز القومي للترجمة، القاهرة، ت ١٩٩١، ط ١.

ومن خلال هذا التركيز على نظرية المعرفة ومبانيها، والآراء المختلفة حولها، اكتشف العلامة الطباطبائي مسألة الإدراكات الاعتبارية التي عالجها وبإسهاب في كتابه «أسس الفلسفة والمذهب الواقعي».

أضف إلى ذلك، المنهج الذي اتبعه واعتمده العلامة الطباطبائي والذي يغلب عليه الطابع الإستدلالي البرهاني العقلي، بحيث جعل قواعد الإستدلال والبرهان الأدوات الوحيدة في معالجته أو مقاربتة للمسائل الفلسفية، ولم يستعن بالنقل أو الذوق إلا في مقارباته التفسيرية، أو معالجاته الدينية، وهذا ما ميّزه عن ملا صدرا الذي جعل الجمع بين أدلة العقل والنقل والذوق سبيلاً للوصول إلى غايته في إثبات أو نفي بعض المسائل الفلسفية.

من هنا، تبرز أهمية متابعة وفهم هذا المنهج عند الطباطبائي، وملاحظة طبيعته، ورصد علاقته بالمعرفة، وموارد تطبيقه، كذلك ملاحظة دور هذا المنهج في تشكّل النظام الفكري عند العلامة الطباطبائي، بالإضافة إلى دراسة أنواع المناهج التي اعتمدها في معالجاته الفلسفية والأخلاقية، أو التفسيرية والكلامية والذوقية، أو العلمية والاجتماعية.

ويمكن القول أن أهمية هذا الموضوع تلخص بالنقاط الآتية:

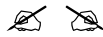
١ - دراسة شخصية العلامة الطباطبائي الزمنية والعوامل المؤثرة فيها، كذلك دراسة تكوينها الفكري والعلمي وروافدها وما نتج عنها من آثار أو نشاط أو آراء وأفكار، وخاصة أن المكتبة العربية ما تزال تفتقر إلى هذا النوع من الإحاطة بشخصية الطباطبائي، وإن وجد شيء منها فإنه إما فضفاضاً من دون عمق، وإما لا يفي بالمطلوب، بالإضافة إلى

دوره بالتصدي لمسألة الماديّة الجدلية التي كانت تغزو بلاد العرب والمسلمين آنذاك.

٢ - تسليط الضوء على إشكالية المعرفة التي أثارها العلامة الطباطبائي لجهة إمكانيتها أو طبيعتها وأدواتها، وقوله بالإدراكات الاعتبارية وأهمية هذه الإدراكات والحاجة إليها، وعلاقة هذه الاعتبارات بأصليّ الجهد والتكيف، والتطبيقات النظرية والاجتماعية والفقهية لهذه الاعتبارات، وصولاً إلى تحديد قيمة المعرفة بأقسامها الحسية، العقلية، والذوقية.

٣ - رصد المنهج العلمي الذي اتّبعه العلامة الطباطبائي في معالجته للمسائل الفلسفية، وإظهار مدى أهمية هذا المنهج وطبيعته وعلاقته بالمعرفة، لجهة أنه طريق للمعرفة، منظم ومقوم لها.

٤ - ملاحظة المناهج المختلفة التي اعتمدها العلامة الطباطبائي، إذ أن المنهج البرهاني كان الأساس في المعالجات الفلسفية، في حين جاء منهجه في التفسير عبارة عن مزيج من عدة مناهج غير متداخلة، بينما جعل من أسلوب الجدل منهجاً في عرض ومناقشة المسائل الكلامية والذوقية، والتحليل والتجربة في المسائل الاجتماعية والعلمية.



### دوافع اختيار الموضوع:

إنّ الأسباب التي دعّتنا لإختيار هذا الموضوع بالذات تتلخص في أمور ثلاثة، وهي:

- ١ - أهمية الموضوع، وقد تقدم تفصيله في العنوان السابق.
- ٢ - عدم وجود دراسة أكاديمية شاملة للأبعاد الفكرية والفلسفية

والمنهجية عند العلامة الطباطبائي ما خلا دراسة واحدة أعدت لرسالة ماجستير تناول فيها المؤلف<sup>(١)</sup> نظرية المعرفة والإدراكات الاعتبارية عند العلامة الطباطبائي بشيء من الاختصار بما يتناسب مع حجم الرسالة.

بالإضافة إلى وجود بعض المواضيع التي تناول فيها كاتبها إمّا سيرة العلامة الطباطبائي الزمنية مع بعض الإشارات إلى دوره في تطوير الحركة الفكرية داخل الأطر العلمية الخاصة ككتاب الشمس الساطعة<sup>(٢)</sup>، أو تلك المواضيع التي عملت على دراسة الجانب المنهجي في التفسير القرآني كالدراسة التي أعدها الدكتور علي الأوسي في هذا الخصوص<sup>(٣)</sup>، أو بعض المقالات المتفرقة في مطاوي بعض الكتب التي لم تتسم بالمنهج الأكاديمي الموضوعي أو الشامل.

٣ - إن هذه الدراسة تسلط الضوء على مناهج الاجتهادات الفلسفية الإسلامية في العصور المتأخرة، حيث عانى ويعاني الفكر الإسلامي عموماً، ما يشبه الإرباك في صياغة منظومة فكرية فلسفية تستطيع أن تواجه وتقابل تلك المنظومات الفكرية التي اجتاحت العالمين العربي والإسلامي.

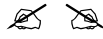
وليس المقصود بالمواجهة أو المقابلة هنا نوع من أنواع الصراع؛

(١) جابر آل صفا، علي، نظرية المعرفة والإدراكات الاعتبارية، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

(٢) الحسيني الطهراني، السيد محمد الحسين، الشمس الساطعة، دار المحجة، بيروت، الطبعة الأولى، دراسة شرح فيها العلامة الطباطبائي لآراء وأفكار ملا صدرا التي جاءت في الأسفار، ١٩٩٧م.

(٣) الأوسي، علي، الطباطبائي ومنهجه في تفسيره للميزان، معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية، ط١، ١٩٨٥م.

بل المقصود والمطلوب هو إعادة تأصيل المفاهيم الفكرية والفلسفية في إطار منهجية محددة تستطيع الإجابة على العديد من الأسئلة، والمواضيع الطارئة، بحيث يمكن من خلالها تحديد معالم الهوية الفكرية الفلسفية للمنظومة الإسلامية بشكل يتناغم وينسجم مع مفهوم الحداثة.



### نقد المصادر والمراجع:

هناك جملة من المؤلفات والعناوين التي تناولت فكر وآثار العلامة الطباطبائي، ومعظمها جاءت إما بشكل ترجمة من الفارسية إلى العربية بدون تحليل ودراسة، وإما بشكل معالجة لموضوع محدد لم يحط بكافة الجوانب الفكرية والفلسفية والمنهجية عند العلامة الطباطبائي كما هو الحال في الدراستين المذكورتين آنفاً، أضف إلى ذلك أن جملة من مصنفات العلامة جاءت على شكل رسائل كتبت بأسلوب خاص بطلبة العلوم الدينية كالرسائل التوحيدية على سبيل المثال، أو بشكل كتب دراسية شرح فيها العلامة الطباطبائي آراء وأفكار ملاً صدرها التي جاءت في الأسفار، ككتابي «بداية ونهاية الحكمة».

ويمكننا القول أيضاً أن كتاب «أسس الفلسفة والمذهب الواقعي» الذي سطر فيه مرتضى مطهري جملة مهمة من أفكار وآراء العلامة الطباطبائي؛ اقتصر على معالجة العلم ومسائل المعرفة والإدراكات، ولم يتطرق إلى معالجة كافة الجوانب الفكرية الفلسفية، كما أن هذا الكتاب لا يصح القول فيه بأنه جاء بشكل أكاديمي بالمعنى الدقيق والعلمي للكلمة.

أمّا الأبحاث الفلسفية المتعلقة بالعديد من المسائل العقائديّة، أو الاجتماعيّة، أو التجريبيّة، أو الذوقيّة؛ فإننا نجدّها قد توزّعت في مطاوي العديد من المصنّفات التي سطرّها العلامة الطباطبائي، كما جاء في تفسيره «الميزان»، أو ما أورده في كتابه «مقالات تأسيسية في الفكر الإسلامي»، أو «الشريعة والحقيقة»، أو «المرأة في الإسلام» وهكذا في غيرها من العناوين والمصنّفات.

ونستخلص من ذلك أنّ الكتابات حول هذا الموضوع ليست شاملة لفكر العلامة الطباطبائي ومنهجه، ولا أكاديميّة، لذا فإنّ هذا الموضوع كان بحاجة إلى إعادة تظهير بحيث يكون جامعاً لآراء العلامة الطباطبائي بشكل شامل وفق منهجيّة علميّة أكاديميّة، لتكون دراسة يمكن أن تكون مرجعاً في هذا المجال.

وبادّعائنا هذا، لا نقصد التقليل من أهمية ما كتب، بل جلّ ما ندّعيه هو ذاك الجهد للوصول إلى دراسة شاملة وموحدة لفكر ومنهج العلامة الطباطبائي، بشكل أكاديمي يمكن أن تكون مرجعاً للاستفادة من آراء الطباطبائي، كذلك أن تكون مصدراً لمحبي الفلسفة والحكمة الإسلامية.



### منهج البحث:

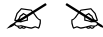
إنّ المنهج الذي اعتمدناه في هذا الكتاب يقوم على مبدأ التحليل والتركيب بالدرجة الأولى، إضافة إلى استخدام مناهج أخرى مساعدة عند الحاجة وفقاً لفصول الكتاب، وبناءً على ذلك قمنا بعملية توليف بين عدة مناهج، ومنها:

### أ - المنهج الاستقرائي :

إعتمدنا على هذا المنهج خلال استعراضنا لسيرة العلامة الطباطبائي الزمنية، كذلك عند كلامنا عن شخصيته العلمية وتكوينه الفكري، وخصوصاً في مرحلة التمهيد للدراسة، وفي مرحلة دراستنا للمعرفة والمنهج في الفصول الثلاث الأولى.

### ب - المنهج التحليلي :

إعتمدنا على هذا المنهج عند كلامنا عن أنواع المناهج التي اعتمدها الطباطبائي في معالجاته للمسائل الفلسفية والأخلاقية، أو التفسيرية والكلامية والدوقية، أو العلمية والاجتماعية، إذ أننا قمنا بعرض وتحليل كل منهج من هذه المناهج المذكورة، كما إننا عملنا على تبيان خصوصية كل منها، وحاولنا قدر الإمكان في هذا المنهج شرح الأفكار ودراستها والاستدلال عليها بصورة موضوعية.



### خطة تقسيم الكتاب:

ينقسم هذه الكتاب إلى : مقدمة، وستة فصول، وخاتمة، وملحق. وهي على الشكل التالي :

- مقدمة : تشتمل على أسباب اختيار الموضوع، أهميته، منهجية البحث المعتمدة، تعريف موجز بالفصول.



## الفصل الأول: سيرة الطباطبائي

يستعرض سيرة العلامة الطباطبائي الزمنية والفكرية وآثاره العلمية، كما يستعرض للحالة الثقافية في عصره، لا سيما مسألة تصديه للمادية الجدلية أو السفسطة في الفلسفة الحديثة فضلاً عن المناهج التي اشتغل عليها بشكل عام.

## الفصل الثاني: نظرية المعرفة عند الطباطبائي

يشتمل على مسائل المعرفة لجهة إمكانها، طبيعتها، أدواتها، وقيمتها، كذلك مسألة الإدراكات الاعتبارية وقيمتها، وخصوصية هذه الإدراكات، والفرق بينها وبين الإدراكات الحقيقية.

## الفصل الثالث: المنهج عند الطباطبائي

يستعرض للمنهج حول: ماهيته، طبيعته، وعلاقته بالمعرفة لجهة أنه طريق للمعرفة، وأنه تنظيم وتقويم لها.

## الفصل الرابع: المسائل الفلسفية والأخلاقية في فكر الطباطبائي

### ١ - الفلسفة:

- أ - الوجود والماهية.
- ب - وحدة الوجود.
- ج - التشكيك بالوجود.
- د - الحركة الجوهرية.

### ٢ - الأخلاق:

- نظرية الحسن والقبح

## الفصل الخامس: المسائل الكلامية والتفسيرية والذوقية

### ١ - الكلام.

أ - نظرتة إلى الصفات الإلهية.

ب - نظرتة إلى الوحي.

ج - نظرتة إلى النبوة.

### ٢ - التفسير:

أ - النص والعقل.

ب - التفسير والتأويل.

### ٣ - الذوق:

المراقبة أو (عبور عالم المثل والصورة).

وتجدر الإشارة إلى أننا قد توسّعنا في هذا الفصل لاعتبارات عديدة أهمها: العناية الخاصة التي أولاها الطباطبائي لهذه المسائل.

## الفصل السادس: المسائل العلمية والاجتماعية

١ - نظرية داروين (النشوء والإرتقاء).

٢ - المرأة في الرؤية الإسلامية.

## خاتمة: مجمل نتائج الكتاب

ملحق: يتضمن بعض الصور الفوتوغرافية ذات الصلة بالموضوع.

فهرس: عام بالمحتويات.

وفي ختام هذه المقدمة لا بدّ من التوجه بالشكر إلى الأستاذ

الدكتور خنجر حميّة الذي كان له دور أساسي في انطلاقي نحو تنفيذ هذا المشروع.

ولا أنسى كلّ من مدّ يد المساعدة لي ، وإلى كلّ من كان له دور بأي شكل من الأشكال ولو بالدعاء. فشكراً . . . شكراً . . . وجزاكم الله كلّ خير.

والحمد لله ربّ العالمين



